تشتبك معنا في كل شبر ومن الواضح ان الشباب كانوا في كل مكان ... وقريبين جدا من الدبابات العمياء وبالفعل حين اخذت الدبابات تتقدم ، اشتبكنا معها . وفجأة حدث ما لم يكن في حسابنا . اخذت مدفعية الدبابات وقذائفها تفتك بالبيوت فتكا اعتباطيا ، وحشيا ، دونما تمييز . وكان المنظر مروعا وبعث فينا الشلل ... كانت الدور تسقط وكنا فجأة نرى بين الركام غير المنتظر اشياء الناس الخاصة والصغيرة ـ ولكن الحميمة ـ ممزقة واحيانا دامية ... ووسط ذلك الجحيم اخذنا نسمع اصواتا ... يارفاق انقذونا ... انجرحت يا رفاق قتلني الجيش يا رفاق ...

واندفعت الدبابات كوحوش عمياء من الفولاذ تخرق الشارع باتجاه دوار مكسيم : ويبدو ان الصدمة كانت مروعة. اذ اخذ الرجال ينسحبون امام الدبابات وبدا لنا ان المفاجأة فعلت فعلها وكادت الفوضى تعم . وفجاة حدث شيء نادر : اندفع احد القادة الى شارع الحسين وطلب من المقاتلين الذين كانوا آخذين بالانسحاب زرع الالغام وبناء سدود من السيارات وانابيب الغاز وتنكات البنزين وقد ارسل من يحضر سيارته ودفعها بنفسه مع اخرين وسط الطريق ... وفجأة دبت روح عالية في الطريق واخذ الرجال يعودون وصاح القائد : « ساعتين بس يا جماعة ... والله حنديهم درس عمرهم ما حينسوه ... » .

ومن بين البيوت عاد الشباب مع مدافع (ر . ب . ج .) الى دوار مكسيم ولا اعرف ان كان هذا القائد قد عاد معهم . وقد انقلب دوار مكسيم الى جحيم لا يتصوره عقل . واخذت الدبابات تتقهقر بسرعة (كان حجمها كبيرا وحين هرولت متراجعة بدت مضحكة) . وقد أخلت كل المنطقة وعادت الى مراكزها الصباحية قبل المعركة واخذت تقصف من هناك ... البيوت المحيطة بدوار مكسيم حيث لقناهم درسا فريدا .

ووسط الهدوء النسبي تراجعت مع مجموعتي وقد شهدت مجموعة من القادة يخرجون من مبنى احدى المنظمات ثم ما لبثوا ان تفرقوا . وشاهدت قائدين يسيران معا مشيا على الاقدام وحين رآني احدهما ضحك وقال لي : (يعطيك العافية يخوي . هربوا الـ (...) وعادت الدبابات الكرة في حوالي الساعة الواحدة ظهرا واتجهت نحو دوار مكسيم من الطرق الموازية للطريق الرئيسية ومن بين البيوت ، ووقفت اربع دبابات . وظلت واقفة ١٥ دقيقة دون حراك ... وفجأة انطلقت قذيفتا (ر . ب . ج .) من مكان قريب والتهمت النار اثنتين واخذت الاثنتان الباقيتان تنسحبان على التو وهما تطلقان النار ... وكنا نعرف انهما فوجئتا وانهما ستعودان ، وانسحبنا من المكان الذي اطلقنا منه القذائف وفعلا عادت الدبابتان واطلقتا صواريخهما نحو البيوت المجاورة . هدموا واحدا بصورة كاملة وقتل صاحبه تحت الانقاض فيما ظل اطفاله الثلاثة احياء ... وجلسوا على الركام وحدهم . وكان منظرهم محزنا وكنا نشاهدهم دون ان نقدر على الوصول اليهم . وظلت الدبابات تتقدم ودمرت كل السيارات الواقفة هناك مثل وحش اصيب بانهيار عصبي .

فدائي ما اهاب الموت
هو الموت كم مره
برشاشي . انا ماشي
على ارضي . لارض النار
انا حالف يمين الله
عن اعدائي ما برجع
فدائي ما بكلمهم
بغير النار والمدفع
(من اغنيات المقاومة)

كان الجند
البدو يعمدون
الى كسر
اصابع الاطفال
الفلسطينيين الصغار
حتى لا يكون
هؤلاء قادرين
على حمل
السلاح
في المستقبل .
تقرير للديلي تيلغراف

« حين يصيحا البروكي ما في عوكي
كلاشينكو في سابكني ، يطير من شوكي
حين يصيحا البروكي وتحين النزله يا يما
نتسابك انا ورفيكي ونهز سلاحنا يا يما » .
من اغاني المقاومة

واستدارت الدبابتان وعادتا الى قرب مكتب القيادة العامة ... حيث كان الاطفال الثلاثة جالسين مذهولين بنوع من الاغماء الحزين . وفجأة اطل ابو حسين من وراء الركام مباشرة خلف الاطفال واخذ يناديهم . ولكنهم لم يلتفتوا اليه . واخيرا وصل اليهم فجذب احدهم نحوه وتناول ايدي الاخرين الصغيرة واختفوا جميعا . عندها اطلقنا قذيفة واحدة وفورا اخذت الدبابة الاخرى تدور حول نفسها وتطلق النار بجنون على البيوت المحيطة بها . وحين صارت على مسافة كافية اطلقت حوالي عشرة صواريخ وهدمت بيوتا كثيرة .

في الوقت ذاته اخذ طابور جديد من الدبابات يعود لمحاولة خرق دوار مكسيم ولكنه تقهقر من جديد امام المقاومة الضاربة . وتراجعت الدبابات وراء الدوائر واخذت تشكيلا خاصا ، واخذت تضرب الطريق العام ، طريق الحسين شبرا شبرا ... بالمدفعية كي تدمر الحواجز وتفجر الالغام المزروعة . وقد شبت النار على جنبات الطريق وفي كل مكان على طول الحي . وظل الفدائيون في امكنتهم وكنت اسمع انينا في كل مكان حين طلب مني ان اعود الى المخيم . كنا نتوقع حربا في كل بيت .

بدأ قصف المخيم مع وصولي اليه وطوال العصر عجزت الدبابات عن اجتياح دوار مكسيم وانهالت القنابل على المخيم دون رحمة ومثل مطر من النار . فجأة يفقد الموت معناه . وينتاب المرء شعور بأن الناس انما ينامون ويرتاحون على قارعة الطريق ...

الموت والدمار . الغبار . البارود ، الدم الجاف الذي يشبه وحلا احمر اللون . الوجوه الصفراء ... الرعب ... كل ذلك يضحي خلال ساعات قليلة عادة يمكن للمرء ان يتعايش معها . افرزنا وحدات خاصة . ونقلنا معظم القتلى والجرحى الى المدارس والى مراكز تموين وكالة الغوث .

وكنت في أمس الحاجة وفي حوالي الخامسة مساء لذلك الامر الذي تلقيته من قيادة الجبهة ... اذهب الى بيتك ونم جيدا الليلة ، نحتاجك غدا ... طوال النهار ... غدا ؟ من يدري ...

الجمعة ١٨ ـ ٩ ـ ١٩٧٠

مرة اخرى اليوم جعلناهم يعودون من حيث اتوا . وقد انتهى النهار دون ان يستطيعوا خرق دوار مكسيم الذي تحول الى مرآب مليء بالفولاذ المحروق ... كان القصف مرعبا اليوم ... وانهالت القنابل على المخيم العاجز عن حماية نفسه من هذا الموت الهابط من الفضاء ...

ابرز ما حدث ان مكبرات الصوت استخدمت لدعوة الفدائيين للاستسلام وقد انهال الرصاص بصورة اخرست ذلك الصوت البشع وحيث تقدمت الدبابات عند الظهر تخفي وراءها جنود المشاة . كان عليها مرة اخرى ان تتوقف امام دوار مكسيم ثم بدأت بالتراجع ...

لدي شعور بأن هذه المعركة معركة طويلة جدا . وقد قال لي (ز) اليوم ان لدينا من الذخيرة ما يكفي لقتال يمكن ان يمتد ثلاثة شهور . اما الطعام فقال انه يكفي الان ولكنه طلب ان نفكر بخطة للحصول على المزيد منه اذا استلزم الامر .

(ق) كان خائفا اليوم . وقد شعرت بالحزن حين رأيته يخجل من نفسه عندما اكتشفنا انه يمضي نهاره مختبئا وقد فكرت فجأة في معنى الشجاعة ومعنى الجبن . واعتقد انني سأكتب فيما بعد عن هذه الكلمات الفذة التي لا معنى لها ... والتي نستخدمها لوصف مشاعرنا في موقف ما . ولكن بعد خروجنا منه .

انا اليوم متعب جدا ولا اعرف ماذا يجري في بقية عمان او باقي المدن ... لا اعرف ماذا يحدث للرفاق ... والان ... وانا انظر لاصابعي تكتب على ضوء الكاز اتساءل : كم من